@ 691 @ من مقت الرب الكريم ؟ ! 2 2 ! أي : يخسرون أنفسهم ، وأهليهم ، وأعمالهم ، ومنازلهم في الجنة . فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران ، والخزي عند ا وعند خلقه والحرمان . ! 2 2 ! يقول تعالى ، معجزا لآلهة المشركين ، ومبينا نقصها ، وبطلان شركهم من جميع الوجوه . ! 2 2 ! يا أيها الرسول لهم : ! 2 2 ! أي : أخبروني عنهم ، هل هم مستحقون للدعاء والعبادة . ! 2 2 ! هل خلقوا بحرا ، أم خلقوا جبالا ، أو خلقوا حيوانا ، أو خلقوا جمادا ؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء ، هو ا تعالى . ! 2 2 ! أي : لشركائكم ! 2 2 ! أي : مشاركة في خلقها وتدبيرها ؟ سيقولون : ليس لهم شركة في ذلك . فإذا لم يخلقوا شيئا ، ولم يشركوا الخلق في خلقه ، فلم عبدتموهم ، ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم ؟ فانتفى الدليل العقلي ، على صحة عبادتهم ، ودل على بطلانها . ثم ذكر الدليل السمعي ، وأنه أيضا منتف ، فلهذا قال : ! 2 2 ! يتكلم بما كانوا به يشركون ، يأمرهم بالشرك ، وعبادة الأوثان . ! 2 2 ! في شركهم ! 2 2 ! أي : من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك ؟ ليس الأمر كذلك ؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن ، ولا جاءهم نذير قبل رسول ا ، محمد صلى ا عليه وسلم . ولو قدر نزول كتاب إليهم ، وإرسال رسول إليهم ، وزعموا أنه أمرهم بشركهم ، فإنا نجزم بكذبهم ، لأن ا قال : ! 2 . ! 2 فالرسل والكتب ، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين تعالى ! 2 2 ! . فإن قيل : إذا كان الدليل العقلي ، والدليل النقلي ، قد دلا على بطلان الشرك ، فما الذي حمل المشركين على الشرك ، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة ؟ أجاب تعالى بقوله : ^ (بل إن يعد الظلمون بعضهم بعضا إلا غرورا) ^ أي : ذلك الذي مشوا عليه ، ليس لهم فيه حجة ، وإنما ذلك ، توصية بعضهم لبعض به ، وتزيين بعضهم لبعض واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال ، وأماني مناها الشياطين ، وزينت لهم سوء أعمالهم . فنشأت في قلوبهم ، وصارت صفة من صفاتها ، فعسر زوالها ، وتعسر انفصالها ، فحصل ما حصل ، من الإقامة على الكفر ، والشرك الباطل المضمحل . ! 2 2 ! يخبر تعالى ، عن كمال قدرته ، وتمام رحمته ، وسعة حلمه ومغفرته ، وأنه تعالى ، يمسك السموات والأرض عن الزوال ، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق ، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما . ولكنه تعالى ، قضى أن يكونا كما وجدا ، ليحصل للخلق القرار ، والنفع ، والاعتبار . وليعلموا من عظيم سلطانه ، وقوة قدرته ، ما به تمتلىء قلوبهم له إجلالا وتعظيما ، ومحبة ، وتكريما . وليلعموا كمال حلمه ومغفرته ، بإمهال المذنبين ، وعدم معاجلته للعاصين . مع أنه لو أمر السماء ، لحصبتهم ، ولو أذن

للأرض ، لا بتلعتهم . ولكن وسعتهم مغفرته ، وحلمه ، وكرمه ! 2 2 ! في تأخير عقاب الكفار 2 ! ، 2 ! لمن تاب . ^ (وأقسموا با جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جآءهم نذير ما زادهم إلا نفورا * استكبارا في الأرض ومكر السيىء ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة آلأولين فلن تجد لسنة ا تبديلا ولن تجد لسنة ا تحويلا) ^ أي : وأقسم هؤلاء ، الذين كذبوك يا رسول ا ، قسما اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة . ! 2 2 ! أي : أهدى من اليهود والنصارى ، أهل الكتب ، فلم يفوا بتلك الأقسام والعهود . ! 2 2 ! لم يهتدوا ، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم ، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان . بل ! 2 2 ! ذلك ! 2 2 ! وزيادة ضلال ، وبغي ، وعناد . وليس إقسامهم المذكور ، لقصد حسن ، وطلب للحق ، وإلا لوفقوا له . ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق ، وعلى الحق ، وبهرجة في كلامهم هذا ، يريدون به المكر والخداع ، وأنهم أهل الحق ، الحريصون على طلبه ، فيغتر بهم المغترون ، ويمشي خلفهم المقتدون . ^ (ولا يحيق المكر السيىء) ^ الذي مقصوده ، مقصود سيىء ، ومآله وما يرمي إليه ، سيىء باطل ! 2 ، ! 2 فمكرهم إنما يعود عليهم . وقد أبان ا لعباده في هذه المقالات ، وتلك الأقسام ، أنهم كذبة في ذلك ومزورون . فاستبان خزيهم ، وظهرت فضيحتهم ، وتبين قصدهم السيء . فعاد مكرهم في نحورهم ، ورد ا كيدهم في صدورهم . فلم يبق لهم ، إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب ، الذي هو سنة ا في الأولين ، التي لا تبدل ولا تغير ، أن كل من سار في الظلم ، والعناد ، والاستكبار على العباد ، أن تحل به نقمته ، وتسلب عنه نعمته ، فليترقب هؤلاء ، ما فعل بأولئك . ^ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان ا ليعجزه من شيء في السماوات ولا